صورة البصرة
عند البشاري المقدسي وناص رخسرو
قبل عام ٣٧٥هـ ـ ٩٨٥م وعام ٤٤٣هـ ـ ١٠٤٢م

الأستاذ المساعد الدكتور
نزار عبد المحسن جعفر الداغر
جامعة البصرة/ كلية الاداب

الملخص :

يعد شمس الدين أبو عبد الله محمد المعروف بـ(البشاري المقدسي) المتوفى عام ٣٨٠ هـ أو ٣٩٠ هـ /٩٩٠ أو ٩٩٩ م ، وناصر خسرو أبومعين القباذياني المروزي المتوفى عام ٤٣٨ هـ / ١٠٦٤م من بين ألبلدانيين المسلمين القلائل اللذين قدما لنا وصفا دقيقا عن البلاد التي زاراها وارتحلا إليها، إذ تقصيا أحوالها وشؤونها ومذاهبها الدينية بدقة كبيرة اختلفت عن غيرهما ممن صنف في هذا المجال. فرغم اختلاف توجهاتهما الثقافية والفكرية والمذهبية فقد عاش الأول في مدينة القدس في فلسطين ونشأ نشأة عربية وعلى المذهب السني، بينما نشأ الثاني في مدينة مرو في إقليم خراسان نشأة فارسية وعلى المذهب الإسماعيلي الفاطمي ولكنهما قدما لنا من زيارتهما للبصرة صورة جلية عن تاريخها وعمرانها ووضعها الاجتماعي والاقتصادي التي كانت نتائجها انعكاسا واضحا للحالة السياسية التي عصفت بالدولة العباسية آنذاك، لاسيما في القرن الرابع والنصف الأول من القرن الخامس الهجريين /العاشر والحادي عشر الميلاديين، اذ كان ظهور دويلات دخلت في نزاع فيما بينها

من اجل السيطرة والنفوذ ، ومنها الدولة البويهية التي أسس أمراؤها دولة وراثية في مركز الخلافة العباسية (بغداد) مابين٣٣٤-٤٤٧ هـ / ٩٤٥-١٠٥٥ م. وبما أن البشاري المقدسي وناصر خسرو تفصل بينهما فترة ليست طويلة، إلا إنهما بلا شك قد عاشا وشهدا جزء من الصراعات السياسية التي شهدتها الدولة البويهية في العراق ومن خلال زيارتهما للبصرة وذكر أحوالها الاجتماعية والعمرانية والاقتصادية وفترات الانتعاش والكساد ونمو بعض مدنها وازدهارها، قد عكسا صورة من الواقع السياسي الذي مرت به المدينة لاسيما في فترة اضطراب سلطة البويهيين عام ٣٧٣هـ / ٩٨٣م والتي عاصرها البشاري المقدسي، ثم الصراع الأسري بين البويهيين وسيطرة احد أبناء أبي كاليجار الديلمي المتوفى عام ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م وانعكاساتها على أوضاع البصرة العامة اثر سيطرته عليها، والتي عاصر إحداثها ناصر خسرو . فقد سجل كل منهما ذلك الواقع وبصور مختلفة في مصنفه ، فالبشاري المقدسي أشار في مصنفه الشهير(أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) إلى البصرة التي نعتقد انه زارها قبل عام ٣٧٥ هـ / ٩٨٥م وهو العام الذي شرع بكتابة مصنفه هذا، فوصف أسواقها وتجارتها ومذاهب أهلها ومدنها ومشاهدها وأثنى عليها وأخبرنا عن معاناة أهلها من الضرائب الفادحة بسبب الصراع السياسي بين البويهيين للحصول على الأموال آنذاك. أما ناصر خسرو الذي زار البصرة عام ٤٤٣هـ /١٠٥١م ـ مثلما أشار في مصنفه (سفرنامة) ـ فقد اخبرنا عن سور البصرة المحكم البناء وأنهارها الكثيرة وانتعاش الابلة وخراب بعض جهاتها لاسيما الجزء الجنوبي الغربي الذي تحول إلى صحراء لا عمران فيها، وفقر أهلها ووصف أحيائها ، وقد عكسنا تلك الصور والأوصاف التي أشارا إليها، على الواقع السياسي الذي شهدته المدينة وقتذاك والمقارنة بين ما جاء عند البشاري المقدسي وبين ناصرخسرو الذي عدد ووصف أحيائها التي تغيرت تماما عما ذكرها الأول وقد يكون ذلك بسبب الأوضاع السيئة التي شهدتها البصرة فادى إلى خراب بعض أجزائها ونشوء أحياء جديدة بسبب الهجرات المتواصلة للسكان من الأطراف

الجنوبية والغربية نحو الشواطئ أو امتداد الأنهار حيث فرص العيش المتوفرة وطلب الحماية داخل سورها الذي شيد آنذاك.

Picture at Basra in al- Bishari Maqdisi and Nasserkhosro year ago 375 AH / 985 AD and the year 443 AH / 1042 AD

Assistant Professor

Dr. Nizar Abdel-Mohsen Aldagr

Summary of research

The Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad, known as (Bishari Maqdisi) died in 380 AH or 390 AH / 990 or 999 AD, and NasserKhosrow Iboumoiean Alkubbadeani Marwozi died in 438 AH / 1064 AD among Albldanyeen Muslims of the few who gave us an accurate description of the country that gone and visited it, as canvass the circumstances and affairs, and religious doctrines with great accuracy who differed from the other products in this area. Despite their different orientations of cultural, intellectual and religious have lived first in the city of Alqods in Palestine and grew up in an Arab and a Sunni, while emerged second in the city of Marow in the province of Khorasan emergence of Persian and Ismaili Fatimid, but they have given us of their visit to Basrah, a clear picture about its history and its development and socio-economic status whose results were a clear reflection of the political situation that hit the

state Abbasid time, especially in the fourth century and the first half of the fifth century AH / tenth and eieventh centuries AD, as was the emergence of states have entered into conflict with each other for control and influence, including the state Albuehyids that the foundations of princes state hereditary in the center of the Abbasid Caliphate (Baghdad) between 334- 447 AH / 945-1055AD. Since Bishari maqdisi and NasserKhosrow apart not long, but they undoubtedly have lived and witnessed part of the political conflicts in the State Albuehyih in Iraq, and during their visit to Basrah, said their social, physical, economic, and periods of recovery and recession and the growth of some cities and prosperity, may inversely copy of the the political reality experienced by the city, especially in a period of turmoil authority Buehyids in 373 AH / 983 AD and that the grapes etc Bishari Maqdisi, then the conflict of family between Buehyids and control of one of the sons of Abu Kelijar Daylami died in 440 AH / 1048 AD, and their reflections on the Basrah General after his control, which has experienced its creation NasserKhosrow. Has recorded both the reality and the different ways in his work, alepeshara Maqdisi said in his work famous (best Altqasim to know the regions) to Basrah, which we believe he has had a year ago, 375 AH / 985 AD, the year began writing his work, this, a description of their markets, trade and doctrines of its people and its cities The scenes and commended it and tell

us about the suffering of its people from the heavy taxes due to the political conflict between Buehyids for funds at the time. The Nasir Khusraw, who visited Basra in 443 AH / 1051 AD, as pointed out in his work (Safarnama) has told us about Wall Basra tight construction and rivers and the many and the recovery of Idiot and the destruction of some destinations, especially the southwestern part turned to desert, no buildings in which, and the poverty of her family and described their neighborhoods, has reversed those pictures and descriptions that pointed to it, the political reality experienced by the city at the time and comparison between what was reported by Bishari Maqdisi and Nasserkhosro the number and description of neighborhoods that have changed completely from what mentioned first may be due to poor conditions experienced Basrah, leading to the destruction of some parts and the emergence of new neighborhoods because of the continuing migration of people from the southern and west towards the beaches or along the rivers where the livelihood opportunities available, and seek protection within its walls, built at the time.

يُعد شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر ، المعروف بالبشاري المقدسي او المقدسي ، والمولود في بيت المقدس عام ٣٣٦هـ / ٩٤٧م والمتوفي عام ٣٨٠هـ / ٩٩٠م حسبما يرى ميكيل اندريه[١] قد ارتبط اسمه بالمدينة

التي ولد فيها (القدس) ، وهو من بين البلدانيين العرب القلائل الذي يتبع منهجاً علمياً يعتمد على التدقيق والمشاهدة الذاتية عن الاحداث والامور التي تخصّ البلدان التي زارها وارتحل اليها ، اذ كان يراجع في ذلك اولي الالباب وذوي العقول من الناس للتحري عن اخبار البلد الذي يزوره[٢] ، ومن المؤكد ان ولعه بالاسفار دفعه الى التجوال في كل انحاء الاقطار الاسلامية تقريبا ومن بينها العراق الذي ارتحل اليه وتفقه فيه على مذهب ابي حنيفه* وخالط الفقهاء والعلماء والمتكلمين ولزم دور الكتب وتصانيف علمائه[٣] وزار اغلب مناطقه بما فيها البصرة .

ولعل اسفاره هذه دفعته للتعرف على الناس والبحث عن عقائدهم ومذاهبهم والتفتيش عن انماط عيشهم ، ويرى احد الباحثين ان البشاري المقدسي لم يبدا في كتابة مصنفه الجغرافي (احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) الا في عام ٣٧٥هـ / ٩٨٥م اي بعد ان بلغ الاربعين من عمره ، والذي لم ينجزه الا بعد ثلاثة اعوام ثم وافته المنيه في اواخر القرن الرابع الهجري ما بين ٣٨٠ او ٣٩٠هـ / ٩٩٠ او ٩٩٩م[٤] . ونعتقد انه زار البصرة قبل ان يبدا بكتابة مصنفه بفترة وجيزة اي قبل عام ٣٧٥هـ / ٩٨٥م .

اما كتابه الذي اشرنا اليه ، فيعد من الكتب الاساسية والمهمة لمعرفة العالم الاسلامي خلال القرن الرابع الهجري / العاشرالميلادي ، اذ اضاف الى المعلومات التي استقاها عن البلدان نتائج ملاحظاته وتجاربه الشخصية ، لذا نتج عن ذلك ان اصبح كتابه وصفاً بديعا للعالم كما رآه ، ومن هذا يمكن ان يعُد البشاري المقدسي ، جغرافياً عظيما ، وواحد من كبار الكتاب العرب قاطبة[٥] .

اما ناصر خسرو ، ابو معين الدين القباذياني المروزي ، فهو فارسي الاصل والنشأة والثقافة ، ولد في قباذيان[٦] عام ٣٩٤هـ / ١٠٠٣م ، توفي عام ٤٣٨هـ / ١٠٤٦م وكان يشغل منصبا كبيرا في الدولتين الغزنوية* والسلجوقية في خراسان اذ كانت ثقافته واسعة ، فهو من اعظم شعراء الفرس وقتذاك ، وفي فترة ما اعتراه تحول عميق في شخصيته دفعه للتجوال سبع سنوات من اجل البحث عن حقائق

الاديان والمذاهب الاسلامية المختلفة فرأى ان يرحل الى بلاد واسعة لعله يجد من يهديه الى طريق الحق لمعرفة الله ولكنه مع هذا كله لم يصل الى ما يريد[٧] ، وفي رحلته هذه والتي سمّاها (سفرنامة) التي ابتداها من مرو* متوجها الى بلاد العرب حيث بيت المقدس ومصر والحجاز والعراق ، قد زار البصرة عام ٤٤٣هـ / ١٠٥١م ومكث فيها ثلاثة اشهر حسبما ذكر[٨] ، وقد وصفها وصفاً دقيقا وسّجل ملاحظاته عنها ، وتقصّى اخبارها بعناية واتصل باهلها وزار اطرافها ، فكانت زيارته هذه عنها ، غنيّة بالصور والمعلومات وتقصي احوالها وشؤونها الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية ، ومما يدل على دقة ناصر خسرو في ذلك هو ما ذكره عن المدّ والجزر في الخليج العربي وعلاقة ذلك بالفيضان في شط العرب[٩] .

ان الحياة السياسية التي مرّ بها العالم الاسلامي والعراق عموماً والبصرة على وجه الخصوص لاسيما في القرن الرابع الهجري والنصف الاول من القرن الخامس الميلادي ، كانت مضطربة اشد الاضطراب ، اذ ظهرت دويلات كثيرة اقتسمت الحكم في الدولة العباسية وظل بعضها ينازع الاخر للحصول على مكاسب واراضٍ يضمها اليه ، لاسيما في المشرق الاسلامي[١٠] ، ومن هذه الدويلات : الدولة البويهية (٣٣٤ – ٤٤٧هـ / ٩٤٥ – ١٠٥٥م)

التي اسس امراؤها دولة وراثية في مركز الخلافة العباسية – بغداد – يسندهم جيش اجنبي معظمه من الديلم والترك[١١] ، وقد عاش احداث النصف الاخير من عهدها تقريبا ، كل من البشاري المقدسي وناصر خسرو اذ عاصرا التبدلات السياسية والادارية والاقتصادية والفكرية والجغرافية التي طرأت على العراق ومدنه بما فيها البصرة ، فسجلا اخبارها واوضاعها المرتبكة والمتردية آنذاك . وترجع اهمية المعلومات التي اشارا اليها عن البصرة والعالم الاسلامي وبالاخص ما يتعلق بالمجال الجغرافي هو ان هذا المجال لم يحض كغيره من العلوم باهتمام ملحوظ لدى العلماء في العراق خلال العهد البويهي . ونكاد نتفق مع احد الباحثين الذي علل ذلك الامر الى ان منهج هذا العلم الجغرافي لم يظهر ان نضجت ظروفه الجديدة في ظل

السيطرة البويهية على العراق ، لاسيما وان تطور هذا المجال متربط دون شك بالنشاط التجاري وازدهار الحياة الاقتصادية واستقرار الامن الذي يفتقر اليه العراق خلال هذا العهد ، خصوصا في النصف الثاني منه ، كما ان التفكك الذي اصاب الخلافة العباسية عشية الاحتلال البويهي للعراق وما رافقه من ظهور دويلات متفرقة في الشرق الاسلامي وغربه على حد سواء ، ادى الى تقلص مساحة الدولة ، فلم يعد الجانب الجغرافي يشكل جذباً قوياً لإعلام الجغرافية بعد ما تقلصت حاجة السلطة المركزية للمعلومات عن مساحة نفوذها الذي انحسر بشكل كبير حتى حدود قصر الخلافة ، قياساً عما كان عليه في العهود السابقة [١٢] لذا وجد البشاري المقدسي ومن بعده ناصر خسرو المجال امامهما مفتوحاً لانجاز ما تلكأ عنه غيرهما في هذا المجال اما بدافع حب الرحلة والارتحال ، او بدوافع تقصي حقائق العالم الاسلامي وما آلت اليه اوضاع الناس والخلافة العباسية خلال هذه الحقبة المرتبكة من فترة السيطرة البويهية ، ولعل انحسار التصنيف في المجال الجغرافي كان دافعاً حفز هذين الجغرافيين المسلمين الى سدّ النقص الحاصل في ظل انحسار التصنيف الجغرافي الذي بات نمطاً او اطاراً عاماً خلال العهد البويهي . ومن الجدير بالملاحظة ، ان البشاري المقدسي وناصر خسرو لم يقتصرا على الجانب الجغرافي فقط عندما زارا البصرة وفي فترات متفاوته ، بل تعدت معرفتهما وتقصيهما على جوانب علمية اخرى مهمة لاسيما الجانب التاريخي والاجتماعي والعمراني للبصرة ، ولعل هذا الاهتمام باحوال الاقاليم ومعرفة تاريخها واوضاعها العامة جاء موافقاً لمقتضيات العصر الذي عاشا فيه وشيوع النهضة العلمية خلال العهد البويهي او محاولة موائمة هذا العلم الجغرافي مع مقتضيات الاسلوب الادبي في التعبير مما هو شائع لدى جمهور المثقفين والعوام خلال هذه الفترة . فهما ذكرا قضايا عن البصرة كانت غاية في الاهمية لم ترد عند غيرهما ممن سبقهما او تلاهما من المؤرخين والبلدانيين على حد سواء ، وهنا تكمن دقة واهمية هذه المعلومات لديهما خلال فترة السيطرة البويهية على المدينة ونقلهما اخبارها بأمانة علمية وثقة وحياد لانهما لم

يكونا من أهلها ، فكانت اخبارهما عنها صورة من عدم التحريف والمبالغة في ايراد الاحداث التاريخية وباطار جغرافي . ويمكن ان نقسم ابرز الجوانب التي وردت عند البشاري المقدسي وناصر خسرو عن البصرة بما يلي :

١- الاهمية التاريخية والجغرافية :

لم يتعامل كل من البشاري المقدسي وناصر خسرو مع الروايات التاريخية والاسانيد التي تتحدث عن تاريخ البصرة في عصورها الاسلامية بصيغة المؤرخ المدقق والناقد والمعتمد في روايته للخبر على سلسلة من الرواة ، بل ظهر لديهما اسلوب اسقاط الاسانيد والعناية فقط بتنسيق المادة التاريخية وتوحيدها . ولعل ذلك يبرز تاثرهما بالمنهج الذي اشتهر في النصف الثاني من القرن الثالث والقرن الرابع الهجريين عند بعض المؤرخين العرب المسلمين والذين اكتفوا بالاشارة فقط في بداية كتبهم بذكر المصادر[١٣] فغلب هذا المنهج عند التدوين التاريخي لدى البشاري المقدسي وناصر خسرو ، فجاءت الاخبار التاريخية عندهما مختصرة ومقتضبة بشكل ملفت للنظر ، فقد اشار الاول الى تاريخ نشاة البصرة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (١٣ – ٢٣هـ / ٦٣٤ – ٦٤٣م) لكن دون ان يذكر السنة التي تم بها ذلك ، والذي كان عام ١٤هـ / ٦٣٥م حسبما اشارت اليه اغلب المصادر التاريخية[١٤] ولعله لم تثبت لديه سنة انشائها هذه فشك بها ولم يسندها ، اذ كان يشدد على ذلك قائلاً ((ان ما صحّ عندنا بالمعاينة واخبار التواتر ارسلنا به القول ...))[١٥] ، لكنه يؤكد لنا على نقطة غاية في الاهمية ، هو ان موضعها الذي انشات فيه قد جرى باتفاق المسلمين الفاتحين باجمعهم وبالتشاور مع السلطة المركزية في المدينة المنورة التي رسمت لهم الملامح الواضحة والثابتة في اختيار المكان الملائم والمناسب للجيش الفاتح آنذاك ، اي انه لم يكن رأياً انفرد به صاحب القرار – الخليفة عمر – مثلما جاء عند البلاذري والطبري وغيرهما ممن وردت لديهم اخبار البصرة[١٦] فهو يقول ان الخليفة عمر حددّ لهم ملامح الموضع الجديد ما بين اقليم فارس وديار

العرب وحدّ العراق على بحر الصين – الخليج العربي – ((فأتفقوا على موضع البصرة ونزلها العرب ...))[١٧] لتقوم بوظيفة المخيم العسكري للعرب تنطلق منه حملاتهم العسكرية تجاه الفرس[١٨] ثم مصرّها عتبة بن غزوان*[١٩] ولعل مصطلح التمصير الذي ورد عند البشاري المقدسي اشارة واضحة منه ، باعتباره مهتما بالجانب الجغرافي اكثر من اهتمامه بالجانب التاريخي ، كان يقصد منه الموقع او المركز الذي يتخذ على الاطراف والحدود ، او انه المكان الذي يشير الى المكانه العمرانية والاجتماعية والادارية للموضع الذي يطلق عليه (مصراً) . لكننا من جانب اخر نجد ان البشاري المقدسي يرتبك في تصنيفه للبصرة ، اذ ترد لديه مرة على انها (مصراً) ومرة اخرى (قصبة) ، فقد سئل مرة عن اطيب البلدان فاشار الى خمسة امصار من ضمنها البصرة ، وفي موضع اخر من كتابه تطرق الى البصرة وذكرها على انها قصبة[٢٠] . ولعل هذا التناقض الواضح لديه يرجع بشكل اساسي الى ان البلدانيين العرب قد شددوا على جانب مهم في عملية التمييز بين الامكنة فيما اذا كان هذا المكان يعد مدينة كبيرة ام متوسطة ام صغيرة ، ونفهم من كلام البشاري المقدسي ايضاً ان تعبير القصبة يعد اقل درجة من المصر خلافاً لما ورد عند من سبقه من البلدانيين ، فقدامة بن جعفر مثلاً يعبر عن القصبة بانها مفهوم واسع ، بل اوسع بكثير من المدينة[٢١] ولعل التغيير الكبير الذي طرأ على البصرة في مساحتها وخصائصها العمرانية والادارية والاجتماعية خلال الفترات التاريخية السابقة وما عانته من محن واضطرابات هو ما جعل البشاري المقدسي يرتبك في تصنيفها . فعندما شاهدها خلال زيارته لها قد وجد بعض مرافقها يرتقي بها لتصبح مصراً ، ومرة اخرى يجد بعض الخراب والانحسار والتردي في جانبها الاخر ليرد بالقول على انها قصبة وعلى الرغم من ان البصرة كانت تحمل عدة خصائص تمدنية مهمة كوفرة المياه والشهرة العلمية بما احتوته من علماء ومشايخ ورخاء اقتصادي ناتج عن اهمية المدينة من الناحية التجارية والتي اشار اليها البشاري المقدسي جميعاً ،

الا انها عنده لا ترتقي ان تكون مصراً ، بسبب التبدل الذي طرأ على احوالها العامة آنذاك .

اما الجانب التاريخي عند ناصر خسرو ، فقد قدّم لنا صورة تختلف عما جاءت عند البشاري المقدسي ، اذ نجد فيها انعكاس واضح لمذهبه الديني[٢٢] الذي طغى على صورة المشهد التاريخي والجغرافي لديه ، لكنه نقل جانباً تاريخياً يكاد يكون منفرداً فيه عن بقية المؤرخين والبلدانيين الذين برزوا في الفترات التاريخية التي سبقته ، فهو حكى لنا بصورة مختصرة جداً عن فترة مهمة مرّت بها البصرة ، اذ نقل بعض احداث معركة الجمل التي جرت عام ٣٦هـ / ٦٥٦م وتحديداً الفترة التي سبقت مرحلة القتال بين جيش الامام علي بن ابي طالب(عليه السلام) وبين جيش عائشة بنت ابي بكر – زوج النبي محمد (ص) . اذ وصل الامام علي الى البصرة نهاية عام ٣٥هـ / ٦٥٥م - مثلما نفهم من حديث ناصر خسرو عن ذلك - ثم مكث فيها اثنين وسبعين يوماً[٢٣] قبل بدء القتال فيما يبدو طليعة عام ٣٦هـ / ٦٥٦م ، ولعله كان اكثر دقة من بعض المؤرخين الذين ذكروا احداث تلك المعركة في سرد المدة التي قضاها الامام علي في المدينة والتي لا تتعدى اياماً قليلة[٢٤] ، فبلا شك ان الاستعداد للمعركة وتهيئة الجند للقتال ووضع الخطط قد يستغرق اسابيع طويلة مع احتدام الاحداث وتسارعها وليس بضعة ايام . ثم ان ما اشار اليه عن زواج الامام علي من ليلى بنت مسعود النهشلي*[٢٥] فانه بذلك ينقل لنا وبصورة متسارعة احداث الانتصار في هذه المعركة والتي يبدو انها توجت بهذا الزواج اثر تقرب القبائل العربية وبيعتها للامام علي بعد المعركة ودور النهشليين للوقوف في صف الامام علي (عليه السلام) ومصاهرته .

لقد انعكس وجود الامام علي (عليه السلام) في البصرة اثراً طيباً على المجتمع فيها ، اذ تعددت المشاهد والاثار التي شيدت في البصرة وارتبط اسمها بالامام علي بن ابي طالب(عليه السلام) والتي ظلت شاخصة حتى زيارة ناصر خسرو اليها ولربما خلال الفترات التي تلت ذلك ، وقد عدّها فكانت ثلاثة عشر مشهداً باسم الامام علي

(عليه السلام)، وفي مواضع متفرقة من البصرة[٢٦] وهي تختلف عن المشاهد التي وردت عند البشاري المقدسي الذي سبقه في تعداد خمسة عشر مشهدا كانت في البصرة لكن اغلبها كانت لبعض اصحاب النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) ممن قتلوا في معركة الجمل ، وبعضها لرجال الفقه كالحسن البصري* وانس بن مالك والاخر لبعض المتصوفه الذين ماتوا في البصرة او من سكانها ، كسهل بن عبد الله التستري** ورابعة العدوية[٢٧] . ولعل الميول المذهبية والدينية قد اخذت دورها في ذكر المشاهد في البصرة عند كل من البشاري المقدسي وناصر خسرو ويبدو ذلك واضحاً من نظرة بسيطة على ما ورد عندهما في تعدادها وذكر اسمائها وفي ذلك انعكاس واضح للمكانة التاريخية والدينية التي اكتسبته المدينة خلال عهودها الاسلامية التي مرّت عليها .

٢- الجانب الاجتماعي وتأثره بالاوضاع السياسية :

ان سيطرة البويهيين على العراق سوف تترك دون شك اثارها السياسية والاجتماعية على كل مدنه بما فيه البصرة ، اذ كان العراق مزيجاً من الاقوام المختلفة التي ظهرت على الساحة السياسية آنذاك الى جانب المذاهب الفقهية والكلامية التي كانت مزدهرة ومتنامية بصورة واضحة ، وقد اشار احد الباحثين الى دقة الوضع الاجتماعي والسياسي خلال فترة التسلط البويهي قائلاً : انه بالرغم من اعداد الاقوام المتواجدة في العراق والتي ارتبط مصيرها بالتطورات السياسية والعسكرية غير المستقرة ، نجد ان المذاهب الدينية والاسلامية كانت اكثر استقراراً في جغرافية هذا الاقليم – العراق – الحيوي تاريخياً[٢٨] وتلك اشارة مهمة الى ازدهار نشاط هذه المذاهب وتجانسها في مجتمع مرتبك سياسياً ، ولعل ذلك يعود الى فتح البويهيين الباب لجميع المذاهب الاسلامية ان تعبر عن ارائها الدينية بحرية وامان مما عزز النشاط الفكري والاجتماعي لها ، وقد شهدنا هذه الصورة عندما حدثنا البشاري المقدسي عن البصرة قائلاً بانها اعجب اليه من بغداد لرفقها وكثرة

الصالحين بها ، فضلاً عن كثرة اعداد مجالس الزهاد والمذكرين وازدهارها والذين كانوا يتمتعون بحرية اختيار المذهب الذي يتفقهون له دون حرج او مطاردة سياسية، فكان البعض يختار مذهب مالك بن انس* او مذهب ابي حنيفة** . وقد عبّر البشاري المقدسي عن هؤلاء الناس بانهم قوماً صالحون ، خالطهم مدة طويلة فعرف سرائرهم ورقة كلامهم فأحبهم واحبوه ، ورغم اختلاف وتنوع مذاهبهم الا انهم بعيدون عن الخلاف والنزاع ، والى جانب هؤلاء كان القدرية*** والشيعة اللذين يعتنقهما اكثر اهل البصرة الى جانب الحنابله والذين يبدو ان اعدادهم كانت قليلة فيها[٢٩] ولعل هذا الواقع الاجتماعي والديني الذي نقله لنا البشاري المقدسي عن البصرة ، لم يكن جديداً في حياة المدينة فيما سبق ، اذ ظلت مظاهر التعايش السلمي واضحة على مجتمعها المتآلف فكرياً ومذهبياً ، الا ان الذي يثير الانتباه ان المناخ الذي اشاعته الدولة البويهية والاضطرابات السياسية والاقتصادية التي رافقت هيمنتها على العراق قد انعكس اثره على المجتمع البصري على وجه الخصوص ، اذ شكلت الفتن المذهبية مظهراً من مظاهر تفاعل هذه الظروف ومن ذلك الصراع المذهبي الذي احتدم كثيراً ما بين الربيعيين* الشيعة وبين السعديين السنة والتي امتدت وانتشرت اثارها السيئة حتى بين الفلاحين من اهل القرى في اطراف البصرة[٣٠] وهذا بلا شك يعني ان الصراع الاجتماعي – المذهبي قد تغلغل بين البسطاء من عامة الناس والبعيدين عن مركز المدينة والذي سيترك ظلاله السيئة على احوال البصرة عامة ويؤدي الى تدهورها اقتصادياً وفكرياً بسبب انشغال معظم شرائحها وطبقاتها الاجتماعية في هذه النزاعات المذهبية والتي يبدو انها ارتبطت دون شك بالاوضاع السياسية في مركز الحكم – بغداد – والتي شهدت صراعات وفتن مذهبية بصورة ملحوظة بين الديلم الشيعة والترك السنة[٣١] . ومن جانب اخر كانت نزاعات البويهيين العائلية مصدراً اخر للكوارث التي يعانيها اهل العراق والذي بدات تنتقل اثاره السيئة نحو المراكز المدنية الاخرى كالبصرة[٣٢] . كما ان احتلال البويهيين البصرة وسيطرتهم عليها قد اثار القرامطة* باعتبارهم قوة

(العدد الخاص بالمؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب لسنة ٢٠١٢)

منافسة للبويهيين وتحاول ان تفرض وجودها على الحياة السياسية في العراق آنذاك ، اذ وجدوا في احتلال البويهيين للبصرة اعتداءً وتجاوزا على نفوذهم في هذه المدينة ، لذا ارسلوا حملة عسكرية برية وبحرية عام ٣٤١هـ / ٩٥٢م لاستعادتها من البويهيين الذين ادركوا اهمية البصرة ودورها التجاري في تثبيت وتعزيز نفوذها في العراق[٣٣] . لقد شاهد ناصر خسرو بنفسه اجراءات البويهيين في حماية البصرة من خطر القرامطة والتصدي لهم ، فقاموا ببناء سور اشار اليه بانه عظيم ومحكم ويحيط بها من كافة جهاتها ، وله باب واحد فقط يشرف على شط العرب[٣٤] ، وبلا شك ان هذا الاجراء يهدف الى احكام قبضة البويهيين على كل طرق ومنافذ البصرة التجارية والتي يولونها اهمية كبيرة لما تحققه لهم من مصادر مالية كبيرة والتحكم بالواردات والصادرات بقبضة حديدية والتحكم بالمنافذ التجارية وتقليصها ليسهل السيطرة عليها ، والتي ابدا البويهيون امامها اهتماماً بالغاً اثر تردي الاوضاع الزراعية واهمالها جراء الصراع السياسي مما ترك اثره على الواقع الاقتصادي للمدينة . ومن دون شك فان بناء هذا السور الذي لم يكن الاول للمدينة فقد سبقت بنائه عدة اسوار[٣٤] الا انه ترك اثراً سيئاً على اهالي المدينة ، فهو احكم او حدد منافذ التجارة التي تعتمد عليها المدينة وبالتالي ارتفعت اسعار البضائع وهبطت القدرة الشرائية للسكان المعتمدين على التجارة وبذلك ارتفعت معدلات الفقر والفاقة والتي ساعدها في ذلك اجراءات البويهيين السيئة في فرض الضرائب وفداحتها ، ومما زاد الاوضاع سوءً هو عجز البويهيين في التصدي لخطر القرامطة . ولاحتواء الازمات السياسية معهم ، فقد عقدوا معهم تحالفاً تجارياً حقق لكل منهما مكاسب اقتصادية على حساب ازدهار البصرة ونموها ، فقد كان اهلها وتجارها يجنون ارباحا كثيرة من التجارة وعشورها التي اصبحت تذهب الى دواوين المحتلين[٣٥] فقد اقام القرامطه الى جانب البويهيين ديوانا خاصاً بهما على باب هذا السور يجنون منه الضرائب على البضائع التي تدخل وتخرج من البصرة[٣٦] .

ولعل تقاسم البويهيين اموال التجارة في البصرة مع القرامطة قد سمح به البويهيون تجنبا لأذى القرامطة وعجزهم عن استئصالهم وطردهم مما اثر على الحياة الاقتصادية بصورة كبيرة على اهالي البصرة ، وبالتالي ارتفاع قيمة البضائع وتضخم اسعارها خلال هذه الفترة ، بسبب كثرة وثقل الضرائب التي تجبى من الطرفين ، فذكر البشاري المقدسي هذه الضرائب بانها كانت ثقيلة وكثيرة تجبى على البضائع في البر والبحر ، وبلغت قيمها كبيرة وثقيلة على الاهالي عموماً[٣٧] ولنا ان نتصور سوء هذه الاجراءات واثرها على الواقع المعاشي والاقتصادي والاجتماعي للمدينة ، لذلك لا نستغرب مما قاله ناصر خسرو عند زيارته لها عام ٤٤٣هـ / ١٠٥١م ((بأن معظم البصرة خرابا ونحن هناك ، والجهات العامرة متباعدة جداً من واحدة لاخرى نصف فرسخ* من الخراب ... ودخل سلطانها كبير))[٣٨] فهي صورة بليغة عن الواقع الاجتماعي والاقتصادي الذي اضعف دور الاهالي في بناء مدينتهم ، بل وربما هجرة الناس منها الى المدن والمناطق الاكثر نشاطاً واستقراراً ، كما صور ايضاً مدى الغنى والثراء الذي وصل اليه الحكام البويهيون جراء سياستهم الضريبية تلك . كما ان البويهيين لم يقدموا اية انجازات اقتصادية تخدم الخلافة العباسية ، بل ازداد الامر سوءاً اثر الصراع الاسري بين البويهيين انفسهم للاستحواذ على مناطق نفوذ اوسع على حساب الاخرين والتي اضافت مزيداً من الضعف والتفكك في البيت البويهي[٣٩] فبعد نهاية عهد ابي كاليجار البويهي (٤٣٦ – ٤٤٠هـ / ١٠٤٤ – ١٠٤٨م) احتدم الصراع بين ابنائه للبقاء في ولاياتهم التي يحكمونها ، وطمعوا في التوسع على حساب الاخرين ، فابو علي بن ابي كاليجار كان ملكا على اقليم فارس فضلاً عن امارته على البصرة[٤٠] ولعله لم يقنع بما يحكمه من مدن ويسيطر عليها ، فكان طرفاً في النزاع الاسري الذي انعكس على الاوضاع الاقتصادية السيئة في البصرة ، اذ ان انحسار العمران وفداحة الضرائب والفقر الواضح لدى الاهالي ما هي الا صورة جلية لتردي

الاوضاع انذاك نقلها لنا ناصرخسرو ، عندما نستعرض الاوضاع الاقتصادية والتجارية في البصرة واهمال الامراء البويهيين لشؤون ولاياتهم التي يحكمونها .

٣- الجانب الاقتصادي والزراعي :

اتاح موضع البصرة القريب من الخليج العربي ووجودها على ضفاف شط العرب ، ان اضحت مدينة تجارية وزراعية ذات موارد كثيرة ، فكثرة الانهار فيها كان عاملاً قوياً اسهم في ازدهار الزراعة وانتاجها وبالتالي انتعاش اسواقها نتيجة التداول بهذه المنتوجات المتنوعة ، وقد اشار البشاري المقدسي بدور المياه في إضفاء الحياة على الاقاليم والمدن ، فعندما ذكر العراق قال ، بأنه ليس ببلد رخاء ولكنه عُمّر بنهري دجلة والفرات ، اما البصرة فيمكن القول فيها ما يشاء المرء من كثرة مياهها وبركها ومدّها وجزرها ، فالمدّ اعجوبة اهلها اذ يزورهم مرتين في اليوم فيسقي البساتين ويحمل السفن الى القرى حتى يبلغ حدودها من جهة الشمال حيث البطائح* وقد استفاد منه اهل البصرة بان جعلوا عليه ارحية تدور على ضفاف الانهار المتفرعة والكثيرة[٤١] .

ان هذه الصورة تنقل الوجه البهي للبصرة واهمية المياه ودورها في حياة البصريين ، كما اكد ناصر خسرو ايضاً على اهمية انهار البصرة في حياة الاهالي والمجتمع فيها ، فبعد ان يذكر القناتين الكبيرتين اللتين تتفرعان من شط العرب (نهر معقل* ونهر الابلة) يتطرق الى وصف الانهار الصغيرة التي تفرعت منهما وقد مرت الى كل الاطراف فغرست عليها اشجار النخيل ورتبت الحدائق على شواطئها[٤٢] ولا ننسى اهمية هذه الانهار في حياة المدينة ، فقد شيدت على ضفافها المدن والتي وصفها البشاري المقدسي بان كل هذه المدن جليلات كبار[٤٣] ويبدو انه قصد من هذا التعبير حجم هذه المدن وكثافة سكانها ، ويمكن معرفة هذا الامر ودقة معناه مع ما اشار اليه ناصرخسرو عندما تنقل بين احيائها قائلاً ((وبها خلق كثير))[٤٤] . ويبدو ان الاوضاع الاقتصادية للبصرة خلال الفترة التي نقلها لنا كل

من البشاري المقدسي وناصرخسرو لم تكن على ما يرام ، اذ ان انتعاش مدن الشواطئ على حساب مدن او مناطق الاطراف لهو مثار قلق ويدعو الى التامل في هذه الصور التي نقلاها لنا ، لذا يبدو ان سوء الاوضاع الاقتصادية والمعاشية للاهالي هي ما اجبرتهم للهجرة او الانتقال من اطراف البصرة نحو شواطئ انهارها حيث وفرة المعاش وفرص العمل في قصور الامراء والاغنياء او العمل في حركة النقل النهري الناشطة وقتذاك ، وبعض الحرف سبباً يجعلنا نعلل هذا الوصف البهي لها لاسيما واذا قارنا ذلك بما قاله ناصرخسرو نفسه عن اطراف البصرة بان ليس به عمران ولا ماء ولا شجر مطلقاً لاسيما الجزء الجنوبي الغربي منها ، فضلاً عن انه وجد معظمها خرابا والجهات العامرة متباعدة[٤٥] ندرك سبب ازدحام مدن الشاطئ فضلاً عن ان الاخطار المحدقة باطراف المدينة كانت اكبر ، قياسا لمدن الشاطئ الذي يحكمها سور متين وقوي لجا الى داخله من الاهالي ممن كانت له القدرة على ذلك ، خوفا من هجمات الاعراب والقرامطة ، فنشطت الحياة الاقتصادية في مدن الشواطئ فكان عيش اهلها عيش ظريف على حد تعبير البشاري المقدسي[٤٦] وتعددت صنوف التجارة بها من الالبسة والثياب والمعادن والصناعات المختلفة والتمور التي لا تضاهي جودتها تموراً اخرى[٤٧] والاكثر من ذلك انها ارتبطت بصلات تجارية مع مدن بعيدة ، فكانت بعض مدن اليمن لها تجارة مع البصرة تركزت في تصدير الاسماك اليها[٤٨] .

ان هذا الدور التجاري للبصرة سوف يثير نهم البويهيين بلا شك الذين عملوا جاهدين على انعاش اقتصاد دولتهم المتلكئ نتيجة سياستهم العسكرية واهمالهم للزراعة ، على حساب ومصلحة الاهالي ، لذا عملوا امام الضغوط السياسية التي تواجههم الى جني ارباحهم من التجارة والضرائب التي تفرض على البضائع في الاسواق ، ومن خلال ما وجدناه من وصف الاسواق لدى البشاري المقدسي وناصر خسرو نجد انهما لم يذكروا لنا سوى ثلاثة اسواق فقط كانت في البصرة خلال العهد البويهي اختلفت تسمياتها لديهما ، فهي عند البشاري المقدسي سوق الكلاء والسوق

الكبير وسوق باب الجامع ، والتي وصفها بانها اسواقا حسنة[٤٩] اما ناصر خسرو فقد سمّاها بسوق خزاعه وسوق عثمان وسوق القداحين[٥٠] ويبدو انها من الاسواق الفرعية والمؤقتة التي نشات في ظل الظروف الاقتصادية الصعبة التي يعانيها البويهيون ، وهذه الاسواق كانت تتخذ من بعض الاحياء او اماكن تجمع الناس مواقع مؤقتة لها ، لذا سميت بتلك الاسماء ، كما انها كانت تفتح ابوابها ساعات معلومه من النهار ، ففي الصباح يجري التبادل في سوق خزاعة وعند الظهيرة في سوق عثمان وفي المغرب في سوق القداحين [٥١] وقد يتسائل البعض عن اسباب هذا الاجراء الذي قام به الاهالي والذي قد يعده البعض اجراءً حسنا وتدبيرا جيدا يعكس اتساع التجارة في البصرة ، الا اننا لا نجد ذلك الا صورة سيئة وصلت اليها تجارة البصرة آنذاك ، اذ ان هذا الاجراء ما هو الا تشتيت انظار السلطة البويهية ومنعها من مراقبة الاسواق ومصادرة بضائعها التي تُفرض عليها رسوما ثقيلة ، لذا لجا الاهالي لهذا الاجراء المتعب والمجهد بلا شك ، في الانتقال من مكان الى اخر خلال ساعات اليوم الواحد ، ففداحة الضرائب نقلها لنا البشاري المقدسي بدقة ، فهو يندهش ان تبلغ الرسوم على الغنمة الواحدة اربعة دراهم ، وتؤخذ من الحجاج والمعتمرين مائة درهم[٥٢] وهذا بلا شك مقدارا كبيرا آنذاك اسهم في زيادة الاسعار واضعف التبادل التجاري ، بل انه بلغ الامر بالبويهيين مراقبة الاسواق مراقبة شديدة لفرض الرسوم على عمليات البيع والشراء فكانت البضائع تفتش تفتيشا شديدا ولهم شوكات منكرة ، بل بلغ بهم الامر ان يمنعوا او يحدّوا من دخول البضائع الى البصرة فكانوا لا يفتحون باب السور الا ساعة معلومة من النهار[٥٣] ولا ادري هل يدرك البويهيون ما هي العواقب السيئة التي رافقت اجرائهم الخطير هذا ؟ فهو بلا شك سوف يضعف دور التبادل النقدي الذي سينخفض جراء هذه السياسة غير المتوازنة ، اذ ان عمليات التفتيش والمصادرة قد تلجئ البعض الى ايجاد حلولاً اخرى تُحفظ بها امواله او يحميها ، لذا فان التعامل الذي كان جاريا في هذه الفترة بين المضاربين في الاسواق او رواد وزوار المدينة كان وفق نظام الصكوك[٥٤] ،

ورغم ان هذا النظام لم يكن جديدا في التعامل داخل الدولة العربية الاسلامية ، او انه كان اجراءً سليماً في حد ذاته في المعاملات التجارية ، والذي اثنى عليه احد الباحثين وعده اجراءً متطورا في الرقي والتبادل التجاري في البصرة خلال هذه الفترة[٥٥] الا اننا نجد انه كان اجراءً احترازيا لجا اليه الناس في البصرة لحماية اموالهم من المصادرة في ظل الظروف الخطرة التي عاشتها البصرة ، كما انه يصور لنا مدى الوهن الاقتصادي والفاقة الكبيرة التي يعانيها الاهالي جراء احكام السيطرة لتحقيق مكاسب اقتصادية على حساب ازدهار المدينة ونموها ، ففي الوقت الذي كان الاهالي يجنون ارباحاً كثيرة من تجارتهم وعشورها الا انها اصبحت تذهب الى جيوب الاجانب[٥٦] ولعل نظرة جلية على الفاقة التي عاناها ناصرخسرو عند زيارته البصرة وعدم امتلاكه الاموال الامر الذي لم يعد بامكانه ان يغتسل من عناء السفر في احدى حمامات المدينة مما اضطره الى بيع كتبه للحصول على بعض الاموال ، بل بلغ به الامر انه لم يكن يعرف وسيلة لسداد ديون رحلته التي حطت به في البصرة ، بل وبلغت الفاقة والفقر حتى بعض المقربين من رجال الدولة[٥٧] .

ان هذا الوضع المزري الذي اصاب البصرة دون امراء البويهيين ، سوف يترك اثارا اجتماعية خطيرة ، اذ حدا بهؤلاء الامراء الى ترك مركز البصرة والتحول عنه الى مناطق اكثر رفاهية ونشاط تجاري وزراعي ، فكانت الابلة التي تقع شمال البصرة من المناطق التي شهدت اقبالا سكانيا واسعا بعد ان تصاعدت احوالها مرة اخرى بتصاعد النشاطات التجارية النهرية والبحرية ومع ذلك فانها ظلت تابعة اداريا للبصرة ، وربما كان لانتقال مركز الادارة والامراء البويهيين والتجار والميسورين اليها ساعد على انتقال النشاط التجاري اليها رويداً رويدا حتى نشطت وحسن حالها بصورة اكبر ، فالبشاري المقدسي يصفها على انها كانت قرية عامرة كبيرة ارفق من البصرة وارحب[٥٨] وفي ذلك اشارة واضحة الى تبدل ظروفها واحوالها الاجتماعية والادارية والاقتصادية وان تاثرها بالاوضاع

الاقتصادية السيئة يبدو انه كان طفيفا اذا ما قورنت مع البصرة آنذاك ، اذ ظلت الابلة محافظة على ثباتها وحيويتها ونشاطها التجاري والزراعي ، وهذا ما حدا ناصرخسرو ان يتحدث عنها عند مغادرته البصرة نحو بلاد فارس ، بان السفن كانت تسير اليها بيسر وسهولة ، وان المناظر والحدائق لا تنقطع على شاطئ نهرها طوال اربعة فراسخ[٥٩] وهنا نجده لم يتحدث عنها على انها قرية مثلما عرّفها البشاري المقدسي قبله ، وهذا يعني انها اتخذت مكانة كبيرة لا يصح معها ان يُطلق عليها تعبير قرية ، لاسيما وانه رأى فيها القصور والاسواق والاربطة ، وهي من الجمال بحيث لا يمكن وصفها او حدّها ، وان الابلة في زمانه كانت كبيرة بحيث انشطرت قسمين ، فالشمالي هي المركز الاداري والتجاري ، بينما الجانب الجنوبي الذي اسماه (شق عثمان) او شط عثمان* ففيه من الشوارع والمساجد والاربطة والاسواق والابنية الكبيرة ما لا يوجد احسن منه في العالم[٦٠] ولعل نشاط الاسواق فيهما وحركة الحياة التجارية داخل اسواقهما والتي كانت تعج بمختلف البضائع والتي ربما لم تكن تفرض ضرائب ورسوم عليها بالقوة التي كانت في البصرة ، وان مراقبة البويهيين لاسواقها كانت خفيفة ان لم تكن معدومة نظرا لسيطرة مركز الادارة عليها فيما يبدو ، الامر الذي سمح بهذا النشاط ليعلو شانها لمصلحتهم ، ولعل هذا الاجراء ساهم في تنشيط حركة الصناعة والزراعة والتجارة داخل اسواقها . ولعل هذا النشاط في اسواق البصرة عموما والابلة خصوصا ، هو ما جعل البشاري المقدسي يتعجب من بعض صناعاتها ومحاصيلها الزراعية اذ قال : الم تر خزّ البصرة وبزّها وطرائفها وازرها وتمورها التي لا تنسى وليمونها الذي لا نظير له وثياب الكتان الرفيعة التي تصنع بالابلة ومنها تصدر التمور الجيدة والحناء والبنفسج وماء الورد والخزّ الى الاطراف والمدن الاخرى[٦١] .

ان هذا الازدهار التجاري والعمراني للأبلة قد اعلا شانها على حساب البصرة التي بدات تتراجع اهميتها وتضعف قدراتها الانتاجية ، فانكمشت بصورة كبيرة خلال هذه المرحلة الخطيرة.

٤- احياء البصرة ومساجدها :

ان نظرة واحدة على قائمة المدن التي سجلها كل من البشاري المقدسي ومن بعده ناصر خسرو ، التابعة للبصرة ، يكشف لنا مدى التبدل والتغير الذي جرى عليها خلال الفترة التي تفصل بينهما عند زيارتهما البصرة وسجلا مشاهداتهما عنها في ظل الاحتلال البويهي للعراق .

جاءت اعداد الاحياء التي سجلها البشاري المقدسي متناقضة ، فمرة ذكر ستة عشر من توابعها ، واخرى ذكر منها ثلاثة عشر فقط وهي : الابلة ، نهر الدير ، مطارا ، مذار* ، نهر زبان ، بدران ، بيان ، نهر الامير ، نهر القديم ، عبادان ، ابو الخصيب ، نهر دبا ، المطوعة ، القندل ، المفتح ، الجعفرية . وفي المرة الاخرى نجده يضيف اليها : شق عثمان ، وسليمانان[٦٢] فيصبح مجموع ما ذكره ثمانية عشر حياً ، اختلفت اسماء اغلبها عندما ذكرها ناصرخسرو وهي : حشان ، شربه ، بلاس ، عقر ميسان ، المقيم ، نهر حرب ، شط العرب ، سعد ، سام ، الجعفرية ، المشان ، الصمد ، الجونه ، الجزيرة العظمى ، مروت ، الشرير ، جزيرة العريش ، الحميده ، الحويزة ، المنفردات[٦٣] .

ولعل هذا التفاوت في الاعداد وتبدل اسماء بعض احياء البصرة يعود الى تشكل وحدات حضرية جديدة خلال فترة قد تقارب النصف قرن ما بين وفاة البشاري المقدسي وناصر خسرو وهذا التحول الجديد لا بد ان ترافقه ظروفا تعايشت معه واثرت فيه حتى تبدل بهذه الصورة . ولا بد ان الانتكاسات والتحديات السياسية التي حدثت على المدينة منذ منتصف القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، وما بعده ادت بمرور الوقت الى ضعف دورها وهجرة الناس عن بعض مناطقها فنشأت وحدات سكنية وحضرية جديدة ، تعايش فيها الناس ومارسوا حياتهم الجديدة . لذلك نجد ان البشاري المقدسي خلال زيارته للبصرة اواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي يذكر ان طرف البصرة البري قد اتى عليه الخراب وهو صحراء ،

فتشكلت مدنا جديدة امتدت مع ضفاف شط العرب والانهار المتفرعة منه والتي يبدو ان هذه المناطق الجديدة التي تشكلت كانت اكثر امنا لوجودها داخل السور الكبير ، فضلا عن نشاطها التجاري الذي بدا ينهض بصورة متنامية لمجابهة ارتفاع الاسعار وفداحة الضرائب ولعل بعض الامراء البويهيين والتي كانت البصرة تحت سيطرتهم ، عملوا من اجل الحصول على اكبر كمية من الاموال والموارد ، على تنشيط حركة السوق والعمران فيها بعد ازدحام السكان في تلك المناطق نتيجة هذه الهجرات من مناطقها الجنوبية والغربية ، فنشات بذلك مدن ، عمل هؤلاء الامراء وبعض التجار على اقامة قصورهم ونقل دواوينهم اليها[٦٤] ، فالابلة التي ذكرها البشاري المقدسي على انها قرية نجدها قد تبدلت احوالها عندما زارها ناصرخسرو ، بل توسعت وامتدت ونشات بعض الضواحي فيها مثل شق (شط) عثمان في الجزء الجنوبي منها، حيث تركزت معظم المنشات العمرانية ، وقد مكث ناصرخسرو فيها ليلة او ليلتين قبل ان ياخذ احدى السفن الكبيرة التي كانت تدعى (بوصي) باتجاة الخليج العربي عبر شط العرب ، فهذا يدل على انها اضحت مرفأ مهماً ومرسى للسفن الكبيرة التي تصلح للسفر عبر مياه الخليج العربي ، وان هذه المدينة الجديدة التي وصفت بانها قرية صغيرة فيما سبق ، كان بها ناس كثيرون رآهم ناصرخسرو على جانبي النهر. وخلاصة القول ان الهدف من تناول وصف الابلة وشط عثمان دون غيرهما من توابع البصرة ، هو ان هذين الموضعان قد ارتبطا مصيريا بالبصرة وتطورا واتسعا عمرانيا واجتماعيا على حساب مدينة البصرة ، ولربما كانت البصرة القديمة التي تبدلت عن موضعها القديم قد ظهرت بصرة اخرى في الابلة ، وبصورة خاصة في شط عثمان،التي صارت هي البصرة الحديثة وغلبت تسميتها على مدينة الابلة[٦٥] .

اما المساجد التي كانت في البصرة آنذاك ، فعلى الرغم مما اشارت اليه بعض المصادر من المبالغة احيانا في اعدادها التي بلغت الاف المساجد[٦٦] والتي يبدو انها كانت مشيدة خلال مراحلها التاريخية السابقة ، الا اننا نجد ان البشاري المقدسي لم يذكر عندما زارها ، سوى ثلاثة مساجد فقط ، الاول في الاسواق ، هو

بهّي جليل عامر بالمصلين ، ليس بالعراق مثله ، له اساطين مبيضة ، والثاني كان على طرف البلد ، اما الثالث وهو اقدمها فكان يقع على باب البادية[٦٧] ويبدو ان هذا التوزيع الجغرافي للمساجد عند البشاري المقدسي يجعلنا ندرك بلا شك ان دور الابلة قد اخذ بالنمو لاسيما وانه يذكر في صفحات اخرى من مصنفه عندما يتحدث عنها ، ان بها مسجدا كبيرا في اسواقها والذي يبدو انه وصفه عندما ذكر مساجد البصرة ، اما ما ذكره عند المسجد الاخر على طرف البلد فهو يعني طرف الابلة آنذاك وهو (شط عثمان) جنوبي الابلة. اما ناصر خسرو فهو لم يذكر اعداد المساجد في البصرة سوى بعض المساجد التي رآها وزارها ، كمسجدها الجامع الذي يقع الى جانبه مشهد الطيّب ، ولهذا المسجد اعمدة كبيرة من الخشب الذي جلب من الهند ، بينما نجده عندما يتطرق الى وصف الابلة وشط عثمان فهو يذكر مساجدهما التي زارها ولكنه لم يذكر اعدادها ايضا[٦٨] وهذا الامر يعطينا صورة على تنامي دور الابلة التي نشطت وتوسع عمرانها وبلغت من الجمال بحيث لا يمكن حدّها او وصفها وازدهرت اسواقها وعمرت مساجدها وازدحم سكانها على حساب البصرة القديمة التي اخذت بالانكماش والتراجع نتيجة ما مر بها من ظروف سياسية فاهمل دورها على حساب تنامي اطرافها الشمالية التي عرفت بـ(الابلة) .

وخلاصة القول : ان الصورة التي قدمها لنا البشاري المقدسي وناصر خسرو عن البصرة تجسد المرحلة التاريخية والانعطاف السياسي والاجتماعي والعمراني الخطير الذي واجهته المدينة خلال فترة الاحتلال البويهي للعراق ، وعلى الرغم ما عانته المدينة ، الا اننا نجد انها استطاعت ان تعاود نشاطها لاسيما التجاري مرة اخرى لمواجهة الاضرار والمساوئ الادارية التي رافقت المشاكل السياسية التي احاطت بها . فمع انكماش بعض اسواقها ومدنها نراها قد عاودت الى التحول والتبدل والانتقال الى مواضع اخرى لتنهض بصورة وصبغة جديدتين ، ولتنتعش هذه الاحياء مرة اخرى عاكسه الصورة القوية لارادة اهلها ودورهم في الحفاظ على مدينتهم العريقة .

هوامش البحث

١) ص٦٠ .

٢) يُنظر ، البشاري المقدسي ص٩ .

*نسبة الى ابي حنيفة النعمان بن ثابت المتوفى في بغداد عام ١٥٠هـ / ٧٦٧م او ما بعدها . يُنظر ، السيوطي : تدريب الراوي ج٢ ص٣٦٠ .

٣) د. عبد الرحمن حميدة : اعلام الجغرافيين ص٢٥٥ .

٤) د. عبد الرحمن حميدة : اعلام الجغرافيين ص٢٥٥ .

٥) كراتشكوفسكي : تاريخ الادب الجغرافي ص٢١٥ ، احمد ابو سعد : ادب الرحلات ص٨٠ .

٦) اشار اليها اليعقوبي بانها من مدن بلخ في اقليم خراسان . يُنظر ، البلدان ص١٢٠ . ولمزيد من التفاصيل عن اسمها وموقعها ، يُنظر ، د. قحطان الحديثي : ارباع خراسان ص٤٤٤ – ٤٤٥ .

*ظهرت الدولة الغزنوية في منطقة غزنه في بلاد الافغان ما بين ٣٥١ – ٥٨٢هـ / ٩٦٢ – ١١٨٦م . اما الدولة الخوارزمية فنشات في خوارزم احدى مدن اقليم ما وراء النهر ما بين ٤٩٠ – ٦٢٨هـ / ١٠٩٦ – ١٢٣٠م . يُنظر ، د. سوادي عبد محمد : دراسات في تاريخ دويلات المشرق ص٤٨ وما بعدها ، د. نافع توفيق العبود : الدولة الخوارزمية ص٢٧ وما بعدها.

٧) سفرنامة ص١٢ .

*هي من اجلّ مدن خراسان افتتحها حاتم بن النعمان الباهلي في خلافة عثمان بن عفان عام ٣١هـ / ٦٥١م . يُنظر ، اليعقوبي : البلدان ص٩٨ – ٩٩ .

٨) سفرنامة ص١٤٥ ، ١٤٦ – ١٤٧ .

٩) يُنظر ، سفرنامة ص١٤٩ ، د. عبد الرحمن حميدة : اعلام الجغرافيين ص٣٣٢.

١٠) لمزيد من التفاصيل عن هذه الدويلات ، يُنظر ، د. سوادي عبد محمد : دراسات في تاريخ دويلات المشرق ص٢٨ وما بعدها .

١١) د. فاروق عمر : الخلافة العباسية ص٤٥٩ .

١٢) د. حسن سلهب : تاريخ العراق ص٣٣٩ – ٣٤١ – ٣٤٢ .

١٣) صائب عبد الحميد : علم التاريخ ص١٥١ .

١٤) الطبري : تاريخ الرسل ج٣ ص٣٨٧ .

١٥) البشاري المقدسي : احسن التقاسيم ص٢٣ .

١٦) فتوح البلدان ص٣٩٣ – ٣٩٤ ، تاريخ الرسل ج٣ ص٣٨٧ .

١٧) البشاري المقدسي : احسن التقاسيم ص١٠٥ .

١٨) د. عبد الجبار ناجي : دراسات في تاريخ المدن ص١٣١ .

*هو عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نسيب السلمي ، مات في خلافة عمر بن الخطاب (رض) عام ١٧هـ / ٦٣٨م . يُنظر ، ابن حبان : الثقات ج٣ ص٢٩٦ .

١٩) البشاري المقدسي : احسن التقاسيم ص١٠٥ . وينظر ، الطبري : تاريخ الرسل ج٣ ص٣٨٨ الذي اشار ان البصرة مصّرت سنة ١٦هـ / ٦٣٧م .

٢٠) احسن التقاسيم ص٤٣ ، ٥٤ ، ١٠٣ ، ١٠٥ .

٢١) يُنظر ، نبذة من كتاب الخراج ص٥٤ ، اذ اشار ان لا بد للنواحي من قصبة يشار منها الى نواحيها ، فنقول ان قصبة مملكة الاسلام بلد العراق . وفي ذلك تعبير واضح على سعة هذا المفهوم عند قدامة ، وانه ياخذ معنى اوسع مما تعنيه القصبة بتوابعها .

٢٢) يُنظر مقدمة كتابه (سفرنامة) ص٢٧ ، ٢٨ .

٢٣) سفرنامة ص١٤٨ .

٢٤) ينظر ، ابن اعثم : الفتوح ج٢ ص٤٨٨ والذي اشار الى مدة بقاء الامام علي في البصرة التي لا تتعدى اياما قلائل .

*هي ليلى بنت مسعود بن خالد بن مالك بن ربعي بن سلمى بن جندل ابن نهشل بن دارم ، تزوجها الامام علي (ع) فولدت له ابا بكر وعبيد الله . يُنظر ، ابن حزم : جمهرة انساب العرب ص٣٨ ، ٢٣٠ .

٢٥) ناصر خسرو : سفرنامة ص١٤٨ .

٢٦) ناصر خسرو : سفرنامة ص١٤٨ .

*هو الحسن بن ابي الحسن يسار ابو سعيد ، ولد بالمدينة المنورة في خلافة عمر بن الخطاب (رض) وتوفي عام ١١٠هـ / ٧٢٨م . يُنظر ، ابن النديم : الفهرست ص٢٠٢ . اما انس بن مالك فنعتقد انه انس بن مالك بن النضر ، خادم رسول الله (ص) وله عقب كثير بالبصرة . وعن ذلك ، يُنظر ، ابن حزم : جمهرة انساب العرب ص٣٥١ .

** هو سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رافع التستري المتصوف . يُنظر ، الفهرست : ابن النديم ص٢٣٧ . اما رابعة العدوية فهي ام عمرو رابعة بنت اسماعيل ، دفنت في البصرة وقبرها هناك . يُنظر ، الذهبي : سير اعلام النبلاء ج٨ ص٢٤١ .

٢٧) ناصر خسرو : سفرنامة ص١١٦ .

٢٨) د. حسن سلهب : تاريخ العراق ص٧٢ .

*هو مالك بن انس بن ابي عامر من حِمير ، كان فقيه الحجاز ، له كتاب الموطأ ، توفي عام ١٧٩هـ / ٧٩٥م . يُنظر ، ابن النديم : الفهرست ص٢٥١ .

** هو النعمان بن ثابت بن زوطي ، كان خزارا بالكوفة ، واصله من كابل ، وكان من التابعين ، وله من الكتب ، كتاب الفقه الاكبر ، توفي عام ١٥٠هـ / ٧٦٧م . يُنظر ، ابن النديم : الفهرست ص٢٥٥ ــ ٢٥٦ .

*** وهو احد القاب المعتزلة ، اذ يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى احترازا من وصمة القلب . يُنظر ، الشهرستاني : الملل والنحل ص٣٤ .

٢٩) البشاري المقدسي : احسن التقاسيم ص١١٢ ، ١١٣ .

* لم اعثر لهم على ترجمة . ونعتقد انهم كانوا من القبائل العربية التي سكنت البصرة . اما الربيعيون ، فقد اشار ابن ماكولا بانهم منسوبون الى ربيع السعد ، جماعة من محدثي الكوفه ، ويبدو انهم قد استوطنوا البصرة فصاروا من اهلها . يُنظر ، الاكمال ج٤ ص٥٦٣ .

٣٠) البشاري المقدسي : احسن التقاسيم ص١١٦ .

٣١) ابن الاثير : الكامل ج٧ ص٤٢٧ – ٤٢٨ ، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ج٣ ص٥٨ .

٣٢) يُنظر ، الكسندر اداموف : ولاية البصرة ص٣٤١ .

* هم الاسماعيلية ، ولهم القاب كثيرة تختلف من مكان لاخر ، فاهل العراق يسمونهم القرامطة او الباطنية ، الذين يعتقدون بامامة اسماعيل بن جعفر الصادق (ع) . يُنظر ، الشهرستاني : الملل والنحل ص١٥٣ ، ١٥٤ .

٣٣) د. فاروق عمر : تاريخ العراق ص٢٧٢.

٣٤) الطبري : تاريخ الرسل ج٧ ص٣٤ – ٣٥ .

٣٥) د. محمد كريم ابراهيم : البصرة في العصر العباسي ص١٠٩ .

٣٦) البشاري المقدسي : احسن التقاسيم ص١١٩ .

٣٧) البشاري المقدسي : احسن التقاسيم ص١١٨ .

* هو وحدة قياس المسافات ويقدر بمسير ساعة او ساعات او مسافة ٣ اميال . يُنظر ، ابن حجر : فتح الباري ج٢ ص٥٦٧ ، فالرهنتس : المكاييل والاوزان ص٩٤ .

٣٨) سفرنامة ص١٤٦ .

٣٩) د. وفاء محمد علي : الخلافة العباسية ص١٧٢ .

٤٠) ناصر خسرو : سفرنامة ص١٤٦ . ولمزيد من التفاصيل عن صراع ابي علي مع اخيه الملك الرحيم حول ضم البصرة . يُنظر ، ابن الاثير : الكامل ج٨ ص٢٠٧ ، د. حسن منيمنه : تاريخ الدولة البويهية ص١٦٠ .

* هي مفرد (البطيحة) وهي السيل اذا اتسع في الارض ، وهي ارض واسعة بين البصرة وواسط . يُنظر ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ج١ ص٤٥٠ .

٤١) البشاري المقدسي : احسن التقاسيم ص١١١ .

* وهو نسبة الى معقل بن يسار المزني الذي حفر هذا النهر بامر الخليفة عمر بن الخطاب (رض). يُنظر ، ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٥ ص٣٣٣ – ٣٣٤ ، ابن حجر : الاصابة ج٦ ص١٨٥ .

٤٢) سفرنامة ص١٤٦ . وقد وصف الثعالبي نهر معقل قائلا بانه اكثر الانهار الذي تنتشر على ضفافه الضياع الفاخرة والبساتين النزهة . يُنظر ، ثمار القلوب ج١ ص٣٢ .

٤٣) احسن التقاسيم ص١٠٦ .

٤٤) سفرنامة ص١٤٦ .

٤٥) سفرنامة ص١٤٦ .

٤٦) احسن التقاسيم ص١١٢ .

٤٧) البشاري المقدسي : احسن التقاسيم ص١١٤ .

٤٨) البشاري المقدسي : احسن التقاسيم ص٨٦ .

٤٩) احسن التقاسيم ص١٠٥ .

٥٠) سفرنامة ص١٤٦ .

٥١) ناصر خسرو : سفرنامة ص١٤٦ .

٥٢) احسن التقاسيم ص١١٨ .

٥٣) البشاري المقدسي : احسن التقاسيم ص١١٨ ، ١١٩ .

٥٤) ناصر خسرو : سفرنامة ص١٤٦ .

٥٥) حمدان الكبيسي : النشاط المصرفي ص٩٣ .

٥٦) د. محمد كريم ابراهيم : البصرة في العصر العباسي ص١٠٩ .

٥٧) سفرنامة ص١٤٦ – ١٤٧ .

٥٨) البشاري المقدسي : احسن التقاسيم ص١٠٦ .

٥٩) سفرنامة ص١٥٠ .

* سمي بذلك نسبة الى عثمان بن ابي العاص الثقفي الذي اقطعه اليه الخليفة عثمان بن عفان . يُنظر، ياقوت الحموي : معجم البلدان ج١ ص٤٢٥ ،ج٢ ص٣٤٤ .

٦٠) احسن التقاسيم ص٢١ ، ١٠٣ ، ١١٤ ، ١١٥ .

٦١) احسن التقاسيم ص١١٤ ، ١١٥ .

٦٢) احسن التقاسيم ص٦١ ، ١٠٣ .

٦٣) سفرنامة ص١٥٠ .

٦٤) بدا نشاط الابلة يزدهر اثر قيام البريديين الذين سيطروا على البصرة ما بين ٣٢٠ – ٣٣٦هـ / ٩٣٢ – ٩٤٧م بالانتقال الى الابلة واتخاذها مقرا لدواوينهم وشيدوا فيها بيوتهم وقصورهم . يُنظر ، د. عبد الجبار ناجي : دراسات في تاريخ المدن ص١٥٠ . ويبدو ان بعض الامراء البويهيين قد تنبه الى دور الابلة الجديد فوسعوا نطاقهم فيها .

٦٥) د. عبد الجبار ناجي : دراسات في تاريخ المدن ص١٥٣ .

٦٦) اليعقوبي : البلدان ص٢٠٣ ، عبد الله النجدي : تاريخ مدينة البصرة ص٥٢ ، ميرزا حسن خان : تاريخ ولاية البصرة ص١١ .

٦٧) احسن التقاسيم ص١٠٦ .

٦٨) سفرنامة ص١٤٨ ، ١٥٠ .

قائمة المصادر والمراجع

اولا / المصادر الاولية :

- ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني الجزري (ت سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م).

١- الكامل في التاريخ (راجعة وصححه ، د. محمد يوسف الدقاق ، ط١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٧م).
- ابن اعثم ، ابو محمد احمد بن اعثم الكوفي (ت نحو سنة ٣١٤هـ / ٩٢٦م).
٢- الفتوح (تحقيق ، علي شيري ، ط١ ، بيروت ، دار الاضواء للطباعة والنشر ، ١٩٩١م).
- البشاري المقدسي ، ابو عبد الله محمد بن احمد (ت سنة ٣٧٥هـ / ٩٨٥م).
٣- احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه ، د. محمد مخزوم ، بيروت ، دار احياء التراث العربي ، ١٩٨٧م).
- البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر (ت سنة ٢٧٩هـ / ٨٩٢م).
٤- فتوح البلدان (تحقيق ، د. سهيل زكار ، ط١ ، بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٢م).
- الثعالبي ، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م).
٥- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (شرح ، خالد عبد الغني محفوظ ، ط١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٥م).
- ابن حبان ، محمد بن حبان بن احمد بن حاتم التميمي البستي (ت سنة ٣٥٤هـ / ٩٦٥م).
٦- الثقات (تحقيق ، السيد شرف الدين احمد ، ط١ ، دار الفكر ، ١٩٧٥م).
- ابن حجر العسقلاني ، احمد بن علي الشافعي (ت سنة ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م).
٧- فتح الباري (تحقيق ، محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٣٧٩هـ).
٨- الاصابة في تمييز الصحابة (تحقيق ، علي محمد البجاوي ، ط١ ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٩٣م).

- ابن حزم ، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد الاندلسي (ت سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م).
٩- جمهرة انساب العرب (راجع النسخة وضبط اعلامها ، لجنة من العلماء ، ط٣ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٣م).
- الذهبي ، شمس الدين ابن عبد الله بن احمد بن قايماز (ت سنة ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م).
١٠- سير اعلام النبلاء (تحقيق ، شعيب الارناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي ، ط٩ ، بيروت ، نشر مؤسسة الرسالة ، ١٤١٣هـ).
- السيوطي ، عبد الرحمن بن ابي بكر (ت سنة ٩١١هـ / ١٥٠٥م).
١١- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (تحقيق ، عبد الوهاب عبد اللطيف ، الرياض ، مكتبة الرياض الحديثة ، د.ت).
- الشهرستاني ، ابو الفتح محمد عبد الكريم بن ابي بكر احمد (ت سنة ٥٤٨هـ / ١١٥٣م).
١٢- الملل والنحل (اشرف على تعديل الكتاب وقدم له ، صدقي جميل العطار ، بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، د . ت).
- الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت سنة ٣١٠هـ / ٩٢٢م).
١٣- تاريخ الرسل والملوك (تحقيق وتعليق ، عبد أ علي مهنا ، ط١ ، بيروت ، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، ١٩٩٨م).
- قدامة بن جعفر ، ابو الفرج البغدادي (ت سنة ٣٢٠هـ / ٩٣٢م).
١٤- نبذة من كتاب الخراج (وضع مقدمته وحواشيه وفهارسه ، د. محمد مخزوم ، ط١ ، بيروت ، دار احياء التراث العربي ، ١٩٨٨م).
- ابن ماكولا ، علي بن هبة الله بن ابي نصر (ت سنة ٤٧٥هـ / ١٠٨٢م).
١٥- الاكمال (ط١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١١هـ).

- ناصر خسرو ، ابو معين القباذياني المروزي (ت سنة ٤٣٨هـ / ١٠٦٤م).
١٦- سفرنامة (ترجمة ، د. يحيى الخشاب ، ط٣ ، بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ١٩٨٣م).
- النجدي ، عبد الله بن عيسى بن اسماعيل (ت سنة ١٢٤٧هـ / ١٨٣١م).
١٧- تاريخ مدينة البصرة (تحقيق ، د. فاخر جبر ، ط١ ، بيروت ، الدار العربية للموسوعات ، ٢٠١٠م).
- ابن النديم ، ابو الفرج محمد بن اسحق (ت سنة ٣٨٥هـ / ٩٩٥م).
١٨- الفهرست (ط١ ، بيروت ، دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٦م).
- ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي (ت سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م).
١٩- معجم البلدان (بيروت ، دار الفكر ، د.ت).
- اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت بعد سنة ٢٩٢هـ / ٩٠٤م).
٢٠- البلدان (وضع حواشية ، محمد امين ضناوي ، ط١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٢م).

ثانيا / المراجع الثانوية :

- ابراهيم ، د. محمد كريم .
٢١- البصرة في العصر العباسي الاخير (موسوعة البصرة الحضارية – الموسوعة التاريخية – جامعة البصرة ، مطبعة التعليم العالي ، د.ت).
- اداموف ، الكسندر .
٢٢- ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها (ترجمة ، هاشم صالح التكريتي ، ط١ ، شركة دار الوراق للنشر المحدودة ، ٢٠٠٩م).
- اندريه ، ميكيل .

٢٣- جغرافية دار الاسلام البشرية (ترجمة ، ابراهيم خوري ، دمشق ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٨٣م).
- الحديثي ، د. قحطان عبد الستار .
٢٤- ارباع خراسان الشهيرة (جامعة البصرة ، مطابع دار الحكمة ، ١٩٩٠م).
- حسن ، حسن ابراهيم .
٢٥- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي (ط١٤ ، بيروت والقاهرة ، دار الجيل ومكتبة النهضة المصرية ، ١٩٩٦م).
- عبد الحميد ، صائب .
٢٦- علم التاريخ ومناهج المؤرخين (ط١ ، بيروت ، الغدير للدراسات والنشر ، ٢٠٠١م).
- حميدة ، د . عبد الرحمن .
٢٧- اعلام الجغرافيين العرب (ط١، دمشق ، دار الفكر ، ١٩٨٤م).
- ابو سعد ، احمد .
٢٨- ادب الرحلات وتطوره في الادب العربي (ط١ ، بيروت ، منشورات دار الشرق ، ١٩٦١م).
- سلهب ، د. حسن .
٢٩- تاريخ العراق في العهد البويهي (ط١ ، بيروت ، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر ، ٢٠٠٨م).
- العبود ، د. نافع توفيق .
٣٠- الدولة الخوارزمية ، نشاتها ، علاقاتها مع الدول الاسلامية (ط١ ، بغداد ، مطابع الجامعة ، ١٩٧٨م).
- علي ، د. وفاء محمد .

٣١- الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين (الاسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، د.ت).
- فوزي ، د. فاروق عمر .
٣٢- تاريخ العراق في عصور الخلافة العربية الاسلامية (ط١ ، بغداد ، مكتبة النهضة ، ١٩٨٨م).
٣٣- الخلافة العباسية (وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد ، د.ت).
- الكبيسي ، د. حمدان عبد المجيد .
٣٤- النشاط المصرفي في الدولة العربية الاسلامية (بغداد ، شركة السرمد للطباعة المحدودة ، د.ت).
- كراتشكوفسكي ، اغناطيوس يوليانوفتش .
٣٥- تاريخ الادب الجغرافي العربي (نقله الى العربية ، صلاح الدين عثمان هاشم ، جامعة الدول العربية ، ١٩٦١م).
- محمد ، د. سوادي عبد .
٣٦- دراسات في تاريخ دويلات المشرق الاسلامي (جامعة البصرة ، دار الكتب للطباعة والنشر ، ١٩٩٣م).
- منيمنه ، د. حسن .
٣٧- تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي (الدار الجامعية ، ١٩٨٧م).
- ناجي ، د. عبد الجبار .
٣٨- دراسات في تاريخ المدن العربية الاسلامية (البصرة ، مطبعة جامعة البصرة ، ١٩٨٦م).